سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

لقاء مفتوح

١٩ ذي القعدة ١٤١١

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي بعث رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله وكفىٰ بالله شهيدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلّم تسليما مزيدا.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم من أهل العلم النافع والعمل الصالح، ومن الذين قبِلوا هدىٰ الله الذي أُرسل به محمد عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، كما أسأل المولىٰ جل وعلا أن يقينا العثار في القول وفي العمل، وأن يجنّبنا الفتنة، وأن يجعلنا من الذين تبعوا سنته واقتفوا سبيل السلف الصالح إنه سبحانه علىٰ كل شيء قدير.

ثم إنه في فاتحة هذا اللقاء نقدم بكلمات لعل الله جل وعلا أن ينفع بها المتكلم وأن ينفع بها السامع، وأعظم ما يركز إلىٰ الاعتناء به وإلىٰ أن تنفتح القلوب عليه **كتاب الله جل وعلا**، قال ربنا ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾[يونس].

وهاتان الآيتان هما في كتاب الله جل وعلا، فوصف الله سبحانه كتابَه بأنه موعظة وأنه شفاء لما في الصدور وأنه هدىٰ للمؤمنين وأنه رحمة للمؤمنين، وأمر الله جل وعلا أن يُفرح بكتابه أعظم فرح، ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ ﴾ يعني بالقرآن ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ وقد ذكر المفسرون أن المراد بفضل الله وبرحمته الذي يُفرح به أنه كتاب الله جل وعلا.

وقد روىٰ ابن أبي حاتم في «تفسيره» بإسناد جيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاءت إبل الصدقة قال لغلامه: يا غلام هلم بنا لننظر إبل الصدقة. فخرجا وكانت محبوسة في المراعي خارج المدينة، فلما أقبلا عليها قال الغلام عجلا: يا أمير المؤمنين هذا فضل الله ورحمته، وكان فرحا من كثرة ما رأىٰ، فالتفت إليه عمر فقال: كذبت ولكن فضل الله ورحمته القرآن قال الله تعالىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس]، وهذا الذي ترىٰ مما يجمعون.

لهذا كان القرآن حجة الله الباقية إلىٰ قيام الساعة.

ولهذا كان القرآن فيه الشفاء والهدىٰ والرحمة في الحال والمآل والعاجل والآجل.

وقد أمر الله جل وعلا عباده أن يتدبروا القرآن وأن لا يمرّوا عليه أمانيّ كفعل اليهود والنصارىٰ ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾ [البقرة]، ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ هي جمع أمنيّة والأمنية هي التلاوة، كما قال جل وعلا في سورة الحج: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[الحج:٥٢]، يعني في تلاوته وقراءته، فسمّىٰ الله جل وعلا هؤلاء الذين لا يعلمون كتاب إلا قراءة، وليس لهم حظ من تدبره وتأمله واعتقاد صحة ما فيه من الأخبار، والعمل بما فيه من الأوامر والنواهي، سمّاهم أمّيّين، ووصفهم بهذا الوصف يعني أنهم لم يصلوا إلىٰ العلم النافع.

وهذه الآية في سورة يونس وصف الله جل وعلا فيها القرآن بأربع صفات:

فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾:

فالوصف الأول أن القرآن **موعظة**، وعلماء اللغة والشرع يقولون: **إن الموعظة ما يحصل به عظةٍ للقلوب بتركها ما لا يحسن، وبفعلها ما فيه مضرة عليها**؛ يعني أن الواعظ يحمل على إتيان ما يحسن وعلى ترك ما يسوء في الحال وفي المآل، ولهذا كانت رسالات الأنبياء وعْظا، وكان الأمر والنهي وعظا، وكانت التوحيد والعقيدة عِظة، ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[البقرة:٢٧٥]، ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[الأعراف]، ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[الشعراء].

فرسالات الأنبياء وعظ، والقرآن وصفه الله جل وعلا بأنه موعظة، والقرآن مشتمل على نوعين من العلوم:

الأول: الأخبار.

والثاني: الأوامر والنواهي وهي الإنشاءات وهي الأحكام.

أما الأخبار فهي الأخبار عن المغيَّبات، إما عن الله ذاته أو صفاته أو أسمائه أو أفعاله، أو عن بعض ما غيب عنا من خلقه كالجنة والنار والملائكة ونحو ذلك وقصص الأنبياء السالفين، فهذه كلها غيب وتقريرها في القرآن﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا ﴾[الأنعام:١١٥] ﴿صِدۡقٗا﴾ بما أخبر به.

فأعظم ما في القرآن باتفاق أهل العلم أنه توحيد الله جل وعلا، والأمر بإفراده بالعبادة والنهي عن الشرك بأنواع والكفر بالطاغوت.

هذا أعظم ما في القرآن؛ لأنه هو المقصود بإرسال المرسلين وبعثة الأنبياء،﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[النحل:٣٦].

وكذلك ذِكر الجنة والنار واليوم الآخر، وذكر القصص السالفة الغيبية وما فيها من عبر، هذه داخلة في كونها موعظة.

أيضا الأوامر والنواهي، الحلال والحرام، الأمر بطاعة الله ونهي عن معصيته أيضا هو موعظة، لهذا لما ذكر الله جل وعلا تحريم الربا، قال بعدها: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[البقرة:٢٧٥].

وهذا يعني أن حقيقة الوعظ عند أهل العلم أنه يشمل كل ما في القرآن، فالذي امتثل ما في القرآن من الدعوة إلى أعظم ما يُدعى إليه وهو التوحيد والنهي عن الشرك وطاعة الرسول ﷺ، وإلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي؛ فقد وعظ أبلغ موعظة.

وإذا علّم هذه المسائل ودرّسها وجاهد في ذلك ونشرها دعوة دعوة وتحقيقا؛ فقد وعظ أبلغ موعظة، لهذا كان العلماء أشد خشية من العباد الجهلاء﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فاطر:٢٨]؛ لأنهم قام في قلبهم من توحيد الله جل وعلا ومعرفته والعلم به والإنابة إليه ما حملهم على أن يخشوه وعلى أن يتقوه،

ولهذا صح عنه أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أنه وصف نفسه بقوله: «**إني لأخشاكم بالله وأعلمكم بالله وأتقاكم لله ﷺ**».

فإذن حقيقة الوعظ في الكتاب والسنة هو ما به يحدث للقلوب اتعاظ لمعرفة ما يصلحها في الدنيا والآخرة وبمعرفة ما يسوؤها في الدنيا والآخرة، فتأتي الأول اختيارا وطاعة، وتنتهي عن الثاني اختيارا وطاعة.

وهذا يعني أن رسالة الرسل علهم الصلاة والسلام إذ كانت موعظة فإنها بشمولها تشمل الدين كله؛ لأن الموعظة وسيلة، والقصد هو تقوىٰ الله جل وعلا والاستعداد للقائه.

وأعظم ما تكون به النجاة بلقاء الله جل وعلا أن يلقىٰ الله المرء بقلب سليم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الشعراء]، **والقلب السليم إنما يكون بسلامته من الشرك والبدعة وباتباعه للسنة وبطاعته لرسوله ﷺ**.

لهذا وصف الله جل وعلا القرآن بهذا الوصف والنعت -الموعظة- لاشتماله علىٰ الأخبار واشتماله علىٰ الأوامر والنواهي.

فمن كان موحِّدًا حقيقة فقد حصل في قلبه العظة والاتعاظ، ومن كان ممتثلا للأوامر مجتنبا للنواهي قد حصَّل في قلبه العظة.

ولهذا قسم الله جل وعلا الذين أورثوا الكتاب الذي هو الموعظة قسمهم إلىٰ ثلاث طبقات، فقال سبحانه في سورة فاطر: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾، فجعلهم ثلاث صفات من؟ الذين أورثوا القرآن، وجعلهم مصطفين علىٰ غيرهم لأنهم موحدون، فجعلهم الله ثلاث طبقات:

الطبقة الأولىٰ: من ظلم نفسه.

والطبقة الثانية: من كان مقتصدا.

والطبقة الثالثة: من كان سابقا بالخيرات.

والظالم نفسه هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا، لم تؤثر فيه المواعظ كما ينبغي، لم يؤثر فيه التوحيد كما ينبغي، لم يؤثر فيه الأمر والنهي من القرآن والسنة كما ينبغي، فظلم نفسه.

ثم المقتصد وهو الذي أتىٰ بالأوامر وانتهىٰ عن النواهي، وأعظم الأوامر التوحيد ويتبع ذلك لوازمه، وانتهىٰ عن النواهي وأعظم ما نهىٰ عنه الشرك وانتهىٰ عن ما يقرِّب إليه، ثم تقرب بما يسر الله له من النوافل.

وأما السابقون بالخيرات فهم المقرَّبون عند الله جل وعلا، وهم الذين حققوا التوحيد قولا وعملا واعتقادا، وأنابوا إلىٰ ربهم جل جلاله.

هٰذا هو الوصف الأول للقرآن، فنخلص منه إلىٰ أن حقيقة الدعوة إلىٰ الكتاب والسنة هي الدعوة ما يُحدث الموعظة في القلوب، وإحداث الموعظة في القلوب بما جاء في الكتاب والسنة أن تكون مشتملة

علىٰ ما جاء في القرآن وما جاء في السنة، فمن دعا إلىٰ بعض ما في القرآن من ذكر الجنة وذكر النار أو ذكر الزهديات أو نحو ذلك، فإنه ترك حقيقة الموعظة.

ومن دعا إلىٰ بعض ما في القرآن من ذكر الأوامر والنواهي ولم يفطن إلىٰ أعظم أمر الله به وهو التوحيد وإلىٰ أعظم ما نهىٰ الله عنه فهو الشرك، فلم يمتثل القرآن في المنة علىٰ العباد به بكونه موعظة، وهكذا والناس طبقات هم درجات عند الله.

فإذن حقيقة من يدعو الناس المصيب مهم أنه يدعو إلىٰ كل ما في القرآن، وهذا صنيع الأئمة أئمة الإسلام والمحققين من أهل العلم والدعاة إلىٰ الله جل وعلا علىٰ بصيرة الذين وصفهم اله جل وعلا بقوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف]، فهذا هو الوصف الأول.

إذن المفهوم أن الوعظ هو الزهديات، الوعظ هو بعض الرقائق، هذا مفهوم ناقص وقاصر عن ما في القرآن والسنة من حقيقة الوعظ.

الوصف الثاني قال جل وعلا: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾[يونس:٥٧]، وما في الصدور عام؛ لأن ﴿مَا﴾ موصولة بمعنىٰ الذي وهي تعم كل ما يكون في حيز صلتها، وما في الصدر وما في الصدر يعني ما في القلب تارة يكون أمورا علمية وتارة يكون أمورا عملية، ويعترض المرض -الذي يقابله الشفاء- يعترض المرض لما في الصدر في العلميات بالشبهات، وفي العمليات بالشهوات وبالبدع وبسلوك سبيل منحرف لم يأذن به الله جل وعلا ولا رسوله ﷺ.

إذن فتحصَّل الأمر أن القرآن شفاء في المسائل العلمية والمسائل العملية، فيما اشتبه علىٰ الناس في الشهوات والشبهات القرآن هو الشفاء، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾، ولا شك أن أعظم ما يصيب المرء في حياته تسلط الشبهات عليه لا يدري أين الصواب، وتسلط الشهوات عليه يريد الهدىٰ ولكن لا يستطيع ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام]، فإذن هذان المرضان تصاب بهما الأمم كما يصاب به الفرد الواحد، شبهات وشهوات.

والشبهات تارة تكون ترددا من الإنسان في نفسه، وتارة تكون بتشبيه غيره عليه.

الشهوات تارة تكون باندفاع المرء إليها بمقتضىٰ الطبيعة، وتارة تكون بدعوة غيره إلىٰ أن يأتي تلك الشهوات المحرمة.

ولهذا الشفاء في القرآن، فالواجب لمن أراد الصواب ومن أراد الحق في المسائل العلمية وأن يرتفع عن الشبهات أن يرجع إلىٰ القرآن، فكل شيء فيه واضح.

ومن أراد السلامة من الشهوات بأنواعها الشهوات المحرمة فشفاؤها في القرآن.

إضافة إلىٰ كون القرآن شفاء من جهة العلاج كما قال جل وعلا: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء]، فإنها تشمل صور الشفاء جميعا وكذلك قوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾[فصلت:٤٤].

الوصف الثالث قال جل وعلا: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ هدىٰ للمؤمنين ورحمة للمؤمنين، وهنا سؤال معروف: لم جعل الله جل وعلا الهدىٰ للمؤمنين ولم يقل للناس جميعا؟ مع أنه في أوله نادي قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ لم جعله رحمة للمؤمنين مع أنه عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[الأنبياء]؟

كذلك لفظ الإنذار في القرآن يكون للمؤمن الذي قبل النذارة ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾[يس:١١] ونحو ذلك، فلم خصّهم بذلك؟

لأنهم هم الحقيقون بالذكر لكونهم قبلوا هذا الهدىٰ؟ أما الذي لم يقبل فكأنه من شدة إعراضه يأته هدىٰ أصلا، ولو هُدي مع سلامه نفسه من الشبهات والشهوات لاهتدىٰ.

فإذن خُصّ المؤمنون بالذكر؛ لأنهم هم الذين قبلوا الهدىٰ وكانت الرحمة لهم، ما الهدىٰ؟ الهدىٰ في الكتاب والسنة وفي تعريف أهل العلم **الهدىٰ هو العلم النافع والعمل الصالح**، والقرآن في العلم النافع والإرشاد إلىٰ العمل الصالح، والعلم النافع هو -يعني أصول العلم النافع- في القرآن.

والعلم النافع ثلاثة أقسام: قال الله، قال رسوله، قال الصحابة، وهذه كلها في القرآن.

وكذلك قال أهل العلم فيما اشتبه علينا علمه وهذه أيضا في القرآن، قال جل وعلا: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾(١) وقال جل وعلا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾[النساء] وقال جل وعلا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر:٧]، وقال سبحانه في الحثّ علىٰ طريقة الصحابة: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[النساء]، وقال في اتباع أهل العلم ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.(٢)

ولهذا أحسن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال:

والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيانِ
علم بأوصاف الإله ونعته ... وكذلك الأسماء للديانِ
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكلُّ في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرِئ متحذلق ... بسواهما إلا من الهذيان

واتباع الصحابة واتباع أهل العلم مما دل عليه الكتاب والسنة.

إذن الهدىٰ هو العلم النافع العلم بالتوحيد العلم بالفقه بدليل هذا وهذا من الكتاب والسنة.

---

(١) سورة: النساء؛ الآية (٥٩)، المائدة؛ الآية (٩٢)، النور؛ الآية (٥٤)، محمد؛ الآية (٣٣)، التغابن؛ الآية (١٢).

(٢) سورة: النحل؛ الآية (٤٣)، الأنبياء؛ الآية (٧).

وكذلك القرآن رحمة قال: ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ الرحمة لفظ عام، والمرء لو أخلاه ربه جل وعلا عن رحمته لما عاش لا في قديم ولا في جديد، لما عاش لحظة، لما تهنّىٰ بعيش ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾[النحل:٥٣]، والكل من آثار رحمة الله جل وعلا.

الرحمة تنظر إليها في أنواع:

- هناك رحمة عليك في دينك.
- وهناك رحمة عليك في دنياك.

والرحمة في الدنيا بما تتمتع به وسلامة الآلات وما يحصل إلىٰ آخره هذه الناس يتوسعون ويحسنون معرفتها.

أما الرحمة الدينية فهي أن خصك الله جل وعلا بقبول الحق الذي في القرآن:

وكم من أناس يسمعون القرآن ولا يتأثرون به.

وكم من أناس لا يتدبرون القرآن؛ بل علىٰ قلوبهم أقفال منعتهم من تدبر القرآن ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾[محمد].

وكم من أناس يسمعون الآية فيذهبون بتأويلات شتىٰ يصرفونها عن ظاهرها التي أمر الله جل وعلا بالإيمان بالقرآن بما دل عليه ظاهره، لا بالتأويلات الباطلة.

وكم من أناس يسمعون الآية التي ليست فيما يعتقدون فيقولون: هذه متشابه، وما نعتقده من العقليات أو من الأصول هو المحكم، فنصرف القرآن إلىٰ ما تمليه عليه عقولنا، وهكذا.

لكن من الذي قبل هذه الرحمة وكان مرحوما حقا هو الذي سلّم قياده للقرآن، يتلقىٰ من كلام الله جل وعلا بما أفهمه إياه أهل العلم، المتابعون لسنة نبيه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

وهذه الرحمة في الدنيا هي سبب الرحمة في الآخرة، فانظر إذن إلىٰ ضلال من ضلّ، وانظر إذن إلىٰ نقص من نقص، وانظر إذن إلىٰ إعراض من أعرض من تذكر نعمة الله عليك وتذكر رحمة الله عليك.

قال ابن القيم في «نونيته» لما ذكر أحوال الخلق وما هم فيه من حدوث غير سبيل الله قال:

لو شاء ربك كنت أيضا مثلهم   فالقلب بين أصابع الرَّحمٰن

وهذا الذي ذكره الله جل وعلا في سورة النساء قال جل وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ﴾[النساء:٩٤]، إذن فَارْعَ لهذه الرحمة العظيمة في اتباعك للدين وآثار ذلك الآخرة، ارعها حقها وحافظ عليها فإنها الرحمة، فإن فرطت ففرطت في رحمتك؛ ومعنىٰ ذلك أنك تعرضت لضدها وهو الخذلان والعذاب أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

بهذا قال جل وعلا في الآية بعدها مبينا ما ينبغي عليك أن تفرح به وأن لا تلتفت عنه إلىٰ غيره ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾[يونس]، فإذا كان ما يجمعون يعارض القرآن واتباع القرآن فلا تفرح بما يجمعون من المال أو الجاه أو الأولاد أو نحو ذلك فهذا قد يكون عدوا لك

وأنت لا تجد والغالب أنه عدو ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ ﴾ يعني بالقرآن ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

وإذا فرحت بالقرآن فرحت بما فيه:

فإنك ستقبل عليه أولا وتنهل منه.

والثاني أنك ستأخذ الحق منه دون تردد.

والثالث أنك ستحافظ علىٰ ما فيه؛ لأن هذا شيء حصلت عليه فرحت به، فإنك إذن تكون شديد المحافظة علىٰ ما فيه.

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.

لابد لنا جميعا من العناية بالقرآن، لا يحسن أن يقل ورودك علىٰ كتاب الله، لا يحسن أن يقل حفظك لكتاب الله، لا يحسن أن تتخذ القرآن مهجورا بأنواع الهجر.

فلقد شكا النبي إلىٰ ربه اتخاذ الأولين القرآن مهجورا بالصد عنه في سماع ما فيه من العلم والحجة فقال جل وعلا: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾[الفرقان].

وأعظم من يهجر القرآن من يهجر حجته في التوحيد والنهي عن الشرك كما هي حال أهل الجاهلية ممن لم يقبل رسالة النبي ﷺ.

ثم الناس في ذلك درجات الذين يهجرون القرآن:

منهم من يهجر تلاوته.

منهم من يهجر حفظه.

منهم من يهجر تدبره.

منهم من يهجره تحكيمه والتحاكم إليه في المسائل العلمية والعملية والأقضية العامة.

ومنهم من يهجر الاستشفاء والتداوي به، إلىٰ آخره.

فالواجب علىٰ العباد العناية بالقرآن أعظم عناية وأن يتدبره العبد وأن يراجع تفسيره فيما أشكل عليه امتثالا لقول الله جل وعلا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[النساء:٨٢]، وامتثالا لقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾[المؤمنون:٦٨]، وامتثال لقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد]، وامتثالا لقوله: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الزخرف]؛ يعني تعقلون ما فيه من الحجج بتدبره وبتأمل ما فيه.

أسأل الله جل وعلا أن يبارك لي ولكم فيما سمعنا، وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وأن يجعلنا ممن قوي دينه وقوي يقينه.

اللَّهمَّ نعوذ بك من الغي كما نعوذ بك من الشك.

اللَّهمَّ نسألك اليقين في اعتقادنا وفي أقوالنا وفي أعمالنا، ونعوذ بك من الفتن المضلة ما ظهر منها وما بطن.

اللّٰهمَّ اجمعنا علىٰ خير واجعل عاقبتنا إلىٰ خير، واجعل في قلوبنا نورا واجعل في أبصارنا نورا وفي أسماعنا نورا واجعل لنا نورا، إنك علىٰ كل شيء قدير.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة] نجيب علىٰ بعض الأسئلة.

سؤال (١): أيهما أولىٰ لطالب العلم المبتدئ حفظ القرآن وتفسيره أو الاهتمام باللغة العربية دراسة وحفظا وغير ذلك؟

الجواب: هذا لا يمنع من هٰذا، حفظ القرآن ومعرفة تفسيره هٰذا هو الواجب، فأن تحفظ القرآن إذا كنت طلب علم، لا يمكن أن تكون طالب علم إلا بحفظ القرآن وبالعلم بما فيه؛ لأن الحجة هي كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ فإن لم تحفظ ولم تعرف معناها، فكيف تكون حجتك قائمة، وكيف تدلي بها وطيف تفهمها، وكيف تكون أنت مقتنعا أصلا بما سلكت، ولهذا الاعتناء بالقرآن هذا من الضروريات.

وقد كان عدد من المشايخ المتقدمين رحمهم الله تعالىٰ لا يأذنون للطالب أن يحضر عليهم في الدرس حتىٰ يحفظ القرآن، فإذا حفظ القرآن فإنه حينئذٍ يحضر الدرس ويحفظ بقية المتون أو يسمع الشرح ونحو ذلك؛ لأنه يكون أمتن لعوده.

فإذن القرآن في حفظه ومعرفة تفسيره أولىٰ من تعلُّم اللغة العربية علىٰ ما هو معروف في درس النحو؛ ونحو ذلك، لكن يعمل هذا وهذا، المرء لن يستغرق القرآن منه وقته كله، وإنما سيأخذ منه شيئا، فالوقت الباقي يمكن أن يمضيه في غير ذلك.

القرآن لا يقدم عليه غيره؛ بل يقدم القرآن علىٰ غيره.

وقد قال أبو عبد الرَّحمٰن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتىٰ يحفظوهن ويتعلموهن ويعملوا بما فيهن. قال: فأخذنا العلم والعمل جميعًا. وهذا بإعانة الله جل وعلا وتوفيقه يحصل.

سؤال (٢): يوجد بعض الناس يقولون: إذا قدر الله كفر الكافر في الأزل فلماذا يعذبه؟ أرجو إيضاح المسألة.

الجواب: سؤال مبني علىٰ عدم فهم العقيدة: لأن القدر ما هو؟

(قدّر الله كفر الكافر في الأزل)، ما معنىٰ (قدّر كفر الكافر في الأزل)؟ معناه عند أهل السنة والجماعة أنه علِم كفر الكافر قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما ثبت في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علىٰ الماء**» معنىٰ (قدر) هنا يعني كتب، أما علم الله جل وعلا فهو أول لأنه سبحانه هو الأول بذاته وبصفاته الذاتية ﷻ، فمعنىٰ قدر الله كفر الكافر يعني أنه عمله أنه جل وعلا أنه سيخلق هذا المخلوق وأنه سيكفر، فعلم ذلك وكتبه

سبحانه إنفاذا لما علم من حاله، وعلمه سبحانه جل وعلا نافذ يعلم ما كان ويعلم ما سيكون، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

فإذن صورة السؤال غير واقعية؛ يعني غير سليمة، فلو أبدلنا كلمة قدّر بكلمة علم، هل يصبر السؤال مستقيما.

فمثلا لو أعدنا السؤال بهذا الفهم فقال: يوجد بعض الناس يقول إذا علم الله كفر الكافر في الأزل فلماذا يعذبه؟ الجهة متناقضة لا ارتباط بين هذا وهذا، إذا علم الله كفر الكافر في الأزل، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ فلم يعذبه؟ الجهة منفكة.

ولهٰذا الإيمان بالقضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة يشتمل علىٰ مرتبتين:

المرتبة الأولىٰ السابقة لوقوع المقدر وهي علم الله جل وعلا وكتابته هذه لما سيحصل.

والثانية مقارنة لوقوع المقدر وهي عموم مشيئته سبحانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وعموم خلقه للأشياء الله خالق كل شيء، فلا يحدث شيء في ملكوت الله جل وعلا إلا إذا شاءه وأراده كونا، ثم إذا أراده خلقه ﷻ فأفعال العباد مخلوقة لله جل وعلا.

فإذن هذا القسم الثاني لا علاقة له بالعلم والكتابة السالفة، هذا اختيار العبد؛ العبد له غرابة وله اختيار ويختار الكفر ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾[البلد]، فإذن الجهة منفكة والسؤال غير منطقي.

سؤال (٣): الأخ جزاه الله خيرا يطلب شرحا علىٰ «الرسالة التدمرية» لشيخ الإسلام ابن تيمية لتبيين مُشكلها... إلىٰ آخره؟

الجواب: «الرسالة التدمرية» لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لها شروح عدة منها المكتوب ومنها المسموع.

فالرجوع إليها فيه الخير والبركة إن شاء الله؛ لأنها تشتمل علىٰ أصول العلم في مسائل الاعتقاد وفي مسال الشرع والقدر، فالعناية بها للمتقدم طلاب العلم مهمة.

سؤال (٤): يقول بعض العلماء: إن من أكبر مزالق العلم الخفية طلب العلم من أجل العلم ذاته، فما تعليق فضيلتكم علىٰ هذا، وكيف يستطيع طالب العلم أن يفرق بين كونه يطلب العلم لله أم من أجل العلم؟ وكيف الطريق إلىٰ التخلص من تلك الآفة؟

الجواب: أما هدي السلف رضوان الله عليهم فهم يحثون علىٰ العلم ويقبلون عليه ولا يفتشون قلوبهم في طلبهم للعلم؛ يعني يقبل علىٰ العلم لأن الله أمر به ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]؛ يحرص علىٰ تعلم العلم النافع ويُتبع العلم النافع بالعمل الصالح ولا يفتش عن نيته.

إصلاح النية يكون بعد، وهذا معنىٰ قول عدد من أئمة الحديث: طلبنا العلم وليس لنا فيه نية، ثم جاءت النية بعد. كما قاله سفيان الثوري وجماعة.

وقال آخرون: طلبنا العلم لغير الله فأبىٰ أن يكون إلا لله.

يعني أنهم أول ما بدؤوا ما كان عندهم نية صالحة، ثم لما تعلموا أول ما يبدؤون يدرسون في الحديث «**إنما الأعمال بالنيات**» فيصحح نيته بعد العلم، أما أن يقول القائل: لا تدخل في العلم حتىٰ تفتش قلبك وتصلح نيتك، هذا من مداخل الشيطان أصلا علىٰ القلوب.

فالواجب علىٰ العبد أن يستعين بالله جل وعلا وأن يعمل بطاعة الله ولا يلتفت إلىٰ تسويل الشطان وإلىٰ ترديده، ثم هو وهو يتعلم وهو يتعبد وهو يجاهد؛ يجاهد نفسه في التزام الإخلاص والصدق في القول والعمل، لا يترك حتىٰ يحدث له الإخلاص.

وقد ذكر بعض العلماء مثالا علىٰ ذلك، فقال: القلب في مسيره إلىٰ الله كمن أراد أن يذهب في طريق فيه من الحيّات والعقارب والسِّباع ما فيه وهو راكب.

فإما أن يكون حاله وهو سائر في الطريق أن يلتفت يمينا وشمالا كل حين فينظر هذه حية سأقتلها، وهذه عقرب أقتله، وهذا سبع لا يأتيني، وهٰذا.. ويخاف من هنا وهنا هذا لا يمشي سيكون مترددا ولن يمشي في الطريق كما ينبغي.

وإما أن يسير في الطريق متوكلا علىٰ الله بعزيمة وما قابله عالجه وصدَّه وقضىٰ عليه بحسب ما قدر الله له؛ لكن يفتش؟ لا تفتش.

وبعض أهل العلم أيضا من أرباب السُّلوك، ضربوا مثلا للقلب بالإسفنج، فإن الإسفنج يشرب ويثقل فإن كان العبد كثير التردد فإنه تكون الإسفنجة هذه ضعيفة تقبل أكثر، وإذا كان عازما مثل الماء القوي الذي يأتي عليها يزل عنها ولا تتشرب منه.

وهكذا فإذن العلماء سواء علماء السلف أو من تكلموا في السلوك وبعض المفسِّرين عند بعض الآيات نصحوا وأرشدوا إلىٰ أن العبد يمضي في طريقه إلىٰ ربه جل وعلا مستعينا بالله ولا يكثر تفتيش قلبه، ولا يكثر تفتيش نفسه؛ لأن هذا قد يكون مصيدة من مصايد الشيطان عليه.

سؤال (٥): نلاحظ في هذه الأيام هجمة شرسة علىٰ ثوابت الأمة ومبادئها في وسائل الإعلام المختلفة مثل التقارب بين الأديان، وحجاب المرأة، وغير ذلك كثير، فكيف نوجه الناس ونحذرهم من هذا الأمر؟

الجواب: الله جل وعلا كما ذكرنا لكم في الكلمة جعل القرآن موعظة وجعله شفاء لما في الصدور وجعله هدىٰ ورحمة، فما من شيء حدث أو يحدث إلا وفي القرآن شفاؤه، ومن وسائل معرفة الشَّر وصدِّ الشَّر أن تعلم الأعداء، والله جل وعلا بين لنا الأعداء؛ أعداء هذا الدين؛ أعداء الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بيَّنهم في القرآن فقال جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾[النساء]، يعني: إن قبلتم علم الله جل وعلا بالأعداء، فعاديتم من عاد الله جل وعلا وواليتم من والىٰ الله جل وعلا فكفىٰ بالله وليا وكفىٰ بالله نصيرا، فهو سبحانه يكفيكم وليًّا وناصرا ومعينا جل جلاله.

أعداء الأمة من القديم أصناف:

منهم اليهود ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾[المائدة:٨٢].

ومنهم النصارىٰ.

ومنهم المشركون بأنواعهم.

ومنهم المنافقون وهؤلاء يؤزُّهم الشيطان أزًّا ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم].

فإذن إذا علمت الأعداء علمت كيف السبيل إلىٰ مواجهة بحسب قدرتك، الله جل وعلا أرسل بعض أنبيائه فمكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وما استطاع أن يؤثر إلا قليلا، نوح عليه السلام كم مكث؟ تسع مائة وخمسين سنة في الدعوة، عمره أكثر من ذلك، في الدعوة ما نفع، ما آمن معه إلا قليل، تسع مائة وخمسين سنة والله يعلمه بأعدائه وهو يبين له وهو يبين للناس، ومع ذلك لم يقبلوا.

فإذن الواجب:

أولا أن تعتقد الأمة عداوة من أخبر الله جل وعلا بعداوته، وهم اليهود والنصارىٰ والمشركون والمنافقون.

وأن تجتنب ما فيه تمكين لهؤلاء علىٰ الناس، في التأثير عليهم، في الإعلام أو في الصحف أو في أي وسيلة من الوسائل؛ لأن هذا نوع من الإضلال، والإضلال واجب صده وواجب رده.

ثم المسألة مسألة جهاد، والجهاد واجب مع القدرة «**من رأىٰ منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**» وإنكار المنكر باليد لأهل الحل والعقد؛ لولاة الأمر، وإنكار المنكر باللسان لأهل العلم والبيان الذين يستطيعون رد الشبه وبيان الحق والتحذير من الشبهات والشهوات، وإنكار المنكر بالقلب لكل أحد ليس لأحد رخصة في ترك إنكار المنكر بقلبه.

هذه الهجمة التي ذكر الشرسة ليست هذه الأيام فقط، فهي في عهد النبي ﷺ حصلت.

وفي عهد الدولة العباسية لما قدِمت أنواع الشبهات بترجمة كتب اليونان وكتب الفلاسفة هذه هجمة أيضا شرسة.

وكذلك الشهوات لما فتحت علىٰ الأمة شهوات المال والإغراءات والمغنين والمغنيات من قديم أيضا هجمة.

وهكذا إلىٰ زماننا هٰذا، والآن وسائلها أكثر من ذي قبل.

فالواجب إذن أن يكون الميدان ميدان جهاد بما نستطيعه بالدعوة إلىٰ الله جل وعلا:

أولا أن يكون المرء علىٰ علم لأنه لا يؤتىٰ أحد إلَّا من قلة العلم.

ثم إذا علمت تدعو؛ تدعو أهل بيتك، وتدعو من حولك بالحكمة والموعظة الحسنة تبين الحق وترد الباطل وتؤلف وتسعىٰ في الخير.

وتذكر أن الله جل وعلا يبتلي العباد فكما ابتلىٰ نوحا عليه السلام بأن مكث ألف سنة إلا خمسين عاما دون نتيجة إلا إيمان قليل؛ لكن المقصود العبادة والدعوة والعلم وقد قامت الحجة علىٰ العباد، وهكذا غيره أيضا مثل عيسىٰ عليه السلام ونحوه.

فإذن الواجب البيان والواجب الدعوة.

وهؤلاء الذين يعادون الأمة في عقيدتها في أشياء كثيرة ليست مسألة التقارب بين الأديان فقط.

والآن ذكر لي أن بعض الفضائيات تذكر أشياء بثها من الشبهات الصرفة؛ بل من الإضلال مثل مثلا مناقشة مسألة خلق القرآن، اثنين يتناقشون في مسألة خلق القرآن في قناة فضائية، هذا لاشك أنه بث للشبهات.

كذلك ذكر بعض المسائل التي تتعلق بإيمان اليهود وإيمان النصارىٰ وأنهم إذا ماتوا علىٰ ذلك فهم مؤمنون ونحو ذلك من المسائل التي فيها التفريط بأصل الدين.

كذلك النظر في أمور العلمنة علىٰ اختلافها وعدم تحكيم شرع الله والبحث في هذا، هذا كله ألان يبث والشريعة لا شك منصورة ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾[غافر].

وهذه الأمة منصورة، منها طائفة منصورة علىٰ الحق لا يضرها من خالفها ولا من خذلها إلىٰ قيام الساعة، قال العلماء: **طائفة منصورة بالسِّنان إن كان أو بالبيان واللسان في كل زمان**؛ يعني هذه الطائفة منصورة، إما بالظهور باللسان والبيان في كل وقت، أو إذا كان الجهاد سائغا شرعا أو كان واجبا أو نحو ذلك فإنه يكون ظهورها بالسِّنان والسيف والسلاح.

فإذن هذه الأمة ظاهرة والله جل وعلا يبتلي العباد؛ لكن لا يُشكك العبد؛ يرىٰ الهجمة الشرسة، يرىٰ كثرة الشهوات، يرىٰ كثرة الشبهات؛ يتشكك ينزلق، الشيطان يريد منك هذا، فإذ ثبت علىٰ دينك ولم تلتفت فهذه أعظم إغاظة؛ لأن هذه مرابطة أعظم جهاد أن تثبت علىٰ دينك في مواجهة هؤلاء المبطلين بأنواعهم؛ لكن إذا انزلق من انزلق فهو إذن خسر في هذا الميدان.

أعاننا الله جل وعلا وإياكم علىٰ الحق والهدىٰ.

سؤال (٦): هل الاستئذان من الوالدين لأداء فريضة الحج واجب؛ لأنني لم أحج بعد فريضة الحج ولم تسمح والدتي؟

الجواب: العلماء اختلفوا في هذه المسألة، والصحيح من قوليهم أنّ طاعة الوالد والوالدة في مثل هذا لا تتعين إلا إذا كان لهما حاجة به لا يقوم بها غيره، أما إذا لم يكن لهما به حاجة فيقدم فرض الله جل وعلا بأداء الحج ولا يؤخر ذلك.

قد سئل الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ عن رجل تأمره أمه أن لا يخرج لصلاة العشاء؛ لأن في زمن الأول كان ظلام وربما كان فيه أشياء فقال: لا يطيعها لأن في مقابلة فرض الله جل وعلا، وهي ليس لها حاجة في ذلك.

فإذن طاعة الوالدين فرض لكن في مثل هذه الصورة الأصح من قولي العلماء إذا لم يكن للوالدين للعبد حاجة فيمضي في الفرض، أما إذا كان نفلا فإنه لا يحج كما أنه لا يجاهد ولا يسافر إلا بإذن والديه.

سؤال (٧): يرىٰ بعض طلاب العلم أن الأنفع والأخصر من طرق طلب علمي التوحيد والفقه وجمع المسائل ثم الاستدلال علىٰ كل مسألة منها بما يفي للمراجع كل مسألة إلىٰ آخره؟

الجواب: هذه المسألة سبق أن ذكرتها في عدد من المحاضرات؛ في كيف أنواع مثلا كيف دراسة الفقه ودراسة كتب الحديث، الفرق بين كتب الحديث وكتب الفقه، المنهجية في طلب العلم فيمكن للسائل أن يرجع إليها مفصلة أعاننا الله وإياكم.

سؤال (٨): أخ يسأل عن مسألة بالتفكير والذهول عن الاعتقاد، ونقل نقولا عن شيخ الإسلام يمكن أن يتفاهم معي بعد هذا لأن هذه تحتاج إلىٰ تفصيل لا يحتاجه أكثر الحاضرين.

سؤال (٩): يؤم مكة المكرمة سنويا ملايين الناس لحج والعمرة بالإضافة إلىٰ سكان مكة وهم كثير مما جعل مركز الدعوة يعاني من ضغط كبير، فهل إذا زاد عدد أعضاء المركز علىٰ العدد الموجود حاليا؟

الجواب: أظن الأخ السائل ليس له صلة بمركز الدعوة، ولو له صلة بمركز الدعوة لأعلن أنه في وقت الحج عشرة أو خمسة عشر يأتيهم نحو ثلاثمائة من الدعاة ويدخلون في مكة ويتجولون في ما حولها إلىٰ المواقيت لدعوة الناس وإرشاد الحجاج.

فالمطلوب من السائل أن يتصل بمركز الدعوة، ما أظن مركز الدعوة هو الذي نقل ذلك.

سؤال (١٠): طريق الدعوة طريق صعب وشاق، فما هي الطريقة المثلىٰ في الدعوة إلىٰ الله حيث يستمر الداعي في الدعوة لا يمل منها؟

الجواب: الدعوة إلىٰ الله جل وعلا هي عمل وعبادة الأنبياء والمرسلين، الدعوة إلىٰ توحيد الله وإلىٰ العلم به وإلىٰ الكفر بالطاغوت ونبذ الشِّرك بأنواعه والبراءة منه ومن أهله، ولوازم ذلك من اتِّباع السنة وترك البدعة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

هذه حقيقة بعثة الأنبياء والمرسلين قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت] وثبت عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أنه قال: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدا خيرٌ لك من حُمْر النعم**» حمر النعم يعني الإبل الحمراء كانت غالية معروفة بغلائها عند العرب، ولا تقل حمُر النعم لأن الحمر جمع حمار وإنما هي حمْر النعم جمع أحمر، فدل علىٰ هذا أن الدعوة إلىٰ الله جل وعلا هي طريقة الأنبياء والمرسلين هي أفضل من كذا وكذا من الدنيا، وهذا يوجب علىٰ الناس أن يجتهدوا فيها .

لكن الدعوة لها شرط وهو العلم لقول الله جل وعلا: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف:١٠٨]، والبصيرة للقلب كالبصر للعين، وبصيرة القلب هي العلم، فبصر القلب في المسائل هو بالعلم، ولهذا لا يحل لأحد أن يدعو إلا إذا علم ما يدعو إليه، أما إذا لم يعلم ما يدعو إليه بحسب ظنه بحسب ما يرتئيه بحسب هواه، فإنه لا يجوز له أن يدعو إلا إذا علم؛ علم بما يدعو بدليله من الكتاب والسنة أو قول من يثق به من أهل العلم ينقل ذلك.

فلهذا الدعوة تكون حينئذ مجزأة تكون مبعضة، لا يشترط أن يدعو إلىٰ كل شريعة، أو يترك أن يكون عالما بكل الشريعة أو بأكثرها أو يترك، إنما الدعوة بحسب العلم، فإذا علمت شيئا فأنقله وعلّمه، وهذا هو الذي ثبت من سنة الصحابة من هدي الصحابة رضوان الله عليهم، وقد صح عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ: «**بلغوا عني ولو آية**»، وقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أيضا: «**نضر الله وجه امرئ سمع منا حديثا فوعاه فأداه كما سمعه فرب مبلغ أوعىٰ من سامع**» وهذه آية وهذا حديث، علمها بتفسيرها من طريق أهل العلم الموثوقين فبلغها ودعا إليها هذه دعوة مبعضة.

فإذن الدعوة تكون بحسب ما تستطيع؛ لكن لا تقتحم علىٰ شيء لا تحسنه، تتكلم في مسائل كبار عظيمة، وأنت إلىٰ الآن ما ختمت جزء عم ولا عرفت تفسيره ونحو ذلك، مثل من يتكلم في مسائل التكفير والإيمان، مثل من يتكلم في مسائل البدعة وهو لا يعرف أصول الشريعة ولم يتعلم حق التعلم، إنما علمت معنىٰ لا إله إلا الله بدليلها تنقل هذا المعنىٰ، علمت معنىٰ السنة طاعة الرسول ﷺ تنقل ذلك، علمت فرضية الصلوات حيث ينادىٰ بهن تنقل ذلك، علمت حرمة كذا وكذا من المحرمات تنقل ذلك وتدعو إليه، وخير لك أن تدعو إلىٰ ما تعلم فهذا فضل عظيم من أن تتقحّم ما لا علم لك به فقد قال الله جل وعلا: ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ ﴾ يعني في ذكر المحرمات ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف].

سؤال (١١): لقد انتشرت في هذه الأيام في بعض مراكز التسويق جعل جائزة سيارة بشرط اشتراء بثمن معين ثم يعطىٰ ورقة يجيب عليها ثم يسلمها إلىٰ المركز إلىٰ آخره.

الجواب: هذا خبر ما فيه سؤال يقول: لقد انتشرت في هذه الأيام في بعض مراكز التشويق جعل جائزة سيارة بشرط اشتراء بثمن معين ثم يعطىٰ ورقة يجب عليها ثم يسلمها إلىٰ المركز إلىٰ آخره.

هذا خبر صحفي، ما قال: ما حكمه، يعني مفهوم ضمنا !

هذه المسابقات القاعدة الشرعية فيها أنها ترجع إلىٰ قاعدة الغرر والميسر والقمار، والغرر نهىٰ عنه النبي ﷺ كما رواه مسلم في «الصحيح» نهىٰ عن الغرر.

فحقيقة الغرر هو العقد الذي يدخله المرء ولا يدري أيكون غانما فيه رابحا بحسب ظنه أو خاسرا غارما، فإذا كان يدخل وهو يقامر وهو يغامر لا يدري أيربح أم يخسر هكذا، فإنه حينئذ تكون المعاملة غررا.

فإذن إذا دارت المعاملة ما بين اعتقاده الغنم أو اعتقاده الغرم؛ يعني وهو لا يدري فترجح أنت هذا؛ لكن الواحد في الغالب إذا اشترىٰ شيء قد يخسر؛ لكن هو في ظنه أنه يربح فيه أو أنه حصل له ما يريد لكن هذا ما يدفع في لقاء شيء قد يحصل وقد لا يحصل.

مثل حقيقة الميسر؛ لأن الميسر والقمار والغرر أنواع من المغالبات كانت في الجاهلية.

هذه الجوائز التسويقية، ونحو ذلك ممن يشترىٰ، ثم يأخذ الجائزة تدور علىٰ هذه القاعدة:

فإذا كان بذله للمال لا لرغبة فيما اشتراه؛ يعني مثلا يدخل السوق سمع بالجائزة يقول: أروح من أجل الجائزة قد تجيئه ثم وجد له أن الجائزة أنه يشتري خمسمائة ريال قال خل ندور نشوف نشتري حتىٰ خلّص الخمسمائة، وليس له غرض في شراء شيء لكن يبحث عشان بلغ الخمسمائة فهو داخل في الميسر وداخل في الغرر؛ لأنه اشترىٰ شيئا لا حاجة له به فدخل في الغرر.

وأما إذا كان له به حاجة، له حاجة في الأشياء لأغراض بروح لهذا المكان، فإذن هنا الحاجة فيما تراه وغيره جاء تبعا ليس مقصودا لذاته؛ لكن هو يشتري ثم يأخذ؛ فإذن تدور المعاملة حينئذ في حقه بين كونه غانما وبين كونه سالما، يعني إما أن يغنم الذي شراه وهو هذه الجائزة، وإما أنه يسلم ما يأتي عليه ضرر لأنه اشترىٰ شيئا له به حاجة.

فإذن حكم هذه الجوائز فانظر إلىٰ نفسك.

من جهة المقيم لها لا بأس بإقامته لهذه المسابقات.

لكن بالنسبة الشاري المشترك ينظر إلىٰ نفسه إذا كان له بما اشترىٰ حاجة، فالدخول فيه لا بأس به، وإذا كان فيما اشترىٰ ليس له به حاجة، وإنما اشتراه لغرض أن يدخل في المسابقة وهو غير محتاج له إما أنه يخزنه أو ليس له حاجة؛ فإنه يكون حينئذ قد دخل في الغرر، والنبي ﷺ نهىٰ عن الغرر، وقد تدخل هذه الصورة في الميسر.

إذن خلاصة الكلام أن قاعدة الغرر هي أن تدور المعاملة ما بين الغنم والغرم، ولا تدري لا تظن هذا يحصل أو لا يحصل.

وأما إذا دارت المعاملة ما بين ربحك أو سلامتك عدم خسارتك فإنه حينئذ يجوز الدخول فيه؛ لأنها مرتبطة بالنهي عن أكل أموال الناس بالباطل، وألا يفتح للناس في هذا لظلم بعضهم بعضا والله أعلم.

سؤال (١٢): لدينا في الجامعة بعض الأساتذة يُجرون اختباراتهم علىٰ عدد من القاعات بنفس الأسئلة، فهل هناك حرج في أن يأخذ أحدنا الأسئلة من زملائه الذين سبَقوه؟

الجواب: هذا بحسب الأستاذ، إذا كان الأستاذ يعدّ هذا غشا فإنه يكون غشا، وإذا بعض الأساتذة لا يعدّ هذا، خذ الأسئلة ونحو ذلك فإنه لا يعد هذا غشا فالأستاذ هو الذي بيده الأمر، يُسأل الأستاذ فإن كان يعد هذا غشا فهو غش وإذا كان لا يعده غشا فهو ليس بغش.

بعضكم يقول: طيب هو يأخذ ويعرف الأسئلة، أكيد غش. لا.

أحيانا تكون الأسئلة توزع مثلا في هذا الفصل، ثم في هذا الفصل، ثم في هذا الفصل، والفصل المتأخر ليس بين يديه كتاب وهو أيضا مراقب، مثل ما يحدث في بعض الدول ممكن أن هذا يأتي بعد ساعة أو ساعتين توزع عليه نفس الأسئلة ولا تغير ولا تبدل، خاصة الأسئلة التي فيها صح وغلط ونحو لذلك.

المقصود من هذا أن هذا يرجع إلىٰ الأستاذ فإذا عد الأستاذ هذا غشا فإنه يكون غشا، وإذا لم يعده غشا لمعرفته بأنه ما فيه فائدة من الإطلاع علىٰ الأسئلة فإنه لا يكون غشا.

سؤال (١٣): ما رأيكم فيمن يقول: إن الأعمال شرط في كمال الإيمان الواجب؟

الجواب: الإيمان فيما دل عليه الكتاب والسنة وقول الصحابة وإجماع أئمة أهل السنة أنه قول وعمل؛ قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.

والقول ركن، والاعتقاد ركن، والعمل ركن.

والعمل ليس شرط كمال، وإنما هو ركنٌ، والمقصود جنس العمل.

يدلك علىٰ أن العمل ركن قول النبي ﷺ في حديث وفد عبد القيس «**آمركم بالإيمان بالله وحده**» قالوا: وما الإيمانُ بالله وحده؟ لاحظ هو أمر بالإيمان بالله وحده، ثم سألوا من الإيمان بالله وحده، قال: «**أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم**» وجه الدلالة أن هذه الأشياء الاعتقاد شهادة أن لا إله وأن محمدا رسول الله هذا قول واعتقاد،

إقام الصلاة إيتاء الزكاة أداء الخمس من المغنم عمل في أعمالٍ بدنية وأعمال مالية وما يجمع بينهما هو أداء الخمس من المغنم.

فإذن جنس العمل دخل في هذا الحديث جوابا عن سؤالهم: ما الإيمان بالله وحده؟

لماذا عددناه ركنا؟ لماذا عده أهل السنة والجماعة ركنا؟

لأن الجواب عن السؤال في مثل هذا السياق يقتضي أن تكون مفردات الجواب أركانا، بدليل الإجماع من الأمة، حتىٰ المرجئة علىٰ أن قول جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: أخبرني عن الإيمان؟ قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**» بالإجماع أن هذه الستة أركان.

كيف فهموا أنها أركان؟ قالوا بالاتفاق أنها جاءت جواب سؤال يقتضي أن يكون الجواب فيه بيان الماهية، وبيان الماهية في حقيقة ركن.

فإذن العمل ركن، دلّ عليه حديث وفد عبد القيس، وتفهم كونه ركنا من حديث جبريل حيث عددنا هناك أركان الإيمان الستة وهي جواب سؤال، فكذلك هناك نعد العمل ركنا لأنه كان جواب سؤال.

والله أعلم.

سؤال (١٤): لاشك أن «كتاب التوحيد» للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الثواب كتاب مهم ومفيد جدا لطالب العلم؛ لكن كما تعلمون ورد في بعض أبواب هذا الكتاب بعض الأحاديث الضعيفة، ما هو توجيهكم علىٰ ذلك؟ وجزاكم الله خيرا.

الجواب: الأحاديث الضعيفة، صنيع أئمة الحديث المتقدمين أنهم يوردون الحديث الضعيف في تصانيفهم؛ وذلك لأسباب:

منها أنه قد يكون ضعيفا عند مجتهد ليس ضعيفا عند الآخر.

والثاني أنه يكون مؤيدا للأصول.

وقد قال شيخ الإسلام في معرض كلام له في «مجموع الفتاوىٰ» عندما ذكر طريقة أهل الحديث في الاستدلال قال: أهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في أصل من الأصول -هذا معنىٰ كلامه-؛ بل إما في تأييده أو في فرع من الفروع.

يعني أن الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والاستشهاد بها في أصل ثابت لا بأس به، وهذا صنيع العلماء وصنيع المحدثين، وقد نسب ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية إلىٰ أئمة أهل الحديث.

وغير ذلك من الأسباب.

فالحديث الضعيف قد يكون ضعيفا عند فئة ليس ضعيفا عند فئة أخرىٰ، مثاله في «كتاب التوحيد» حديث أبي سعيد الخدري، حديث أبي سعيد الخدري في أوله قال موسىٰ: يا رب علمني شيئا أدعوك وأذكرك به، قال: يا موسىٰ قل لا إله إلا الله. قال: يا ربّ كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسىٰ لو أن السّمٰوات السبع وعامرهن غيري والأراضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إلٰه إلا الله.

هذا الحديث هو من رواية درّاج أبي السَّمح، عن أبي سعيد، وقد ضعف هذه النسخة وهذا الإسناد جماعة من أهل العلم، في نسخة فيها أحاديث كثيرة معلومة؛ لكن صححه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» حيث قال فيه: رواه النسائي وغيره بإسناد صحيح.

فهذا نوع من اختلاف المجتهدين فيه، ما الوجهة؟ أنه عند النسائي هو من رواية عمرو بن الحارث وهو أحد علماء مصر وفقهاء مصر، وكان ذكروا في ترجمته أنه كان ينتقي من أحاديث درّاج.

المقصود أن بعض الأحاديث يحكم عليها بعض طلبة العلم أو بعض العلماء المعاصرين أو من قبلهم بأنه حديث ضعيف وليس معناه أنه ضعيف عند الجميع، الاجتهاد في التصحيح والتضعيف أعظم من الاجتهاد في المسائل الفقهية كما ذكرته لكم مرارا.

فخلاف المختلفين في الرجال هو من جنس اختلاف المختلفين في المسائل الفقهية في بيان الأحكام.

لهذا لا يعني أن قول من ضعف هو الصحيح، وقول من حسن أو صحح ليس هو الصحيح.

ثم فرضا أنه ضعيف باتفاق أو أنه ليس له شواهد أو نحو ذلك، فإن الحديث الضعيف إذا كان في تأييد أصل من الأصول فمنهج أهل الحديث أنه لا بأس من إيراده.

وأما ما حصل مؤخرا من الشدة علىٰ إيراد الأحاديث الضعيفة ونحو ذلك فإنما يراد منها الأحاديث الضعيفة التي تبني أصولا وتهدم أصولا، أما ما كان منها في تأييد أصل من الأصول في شواهده المعنوية أو اللفظية وصنيع أهل العلم السابقين وأئمة الإسلام سابق علىٰ ذلك، ومن رأىٰ وطالع كتب الحديث وكان له بصيرة وجد ذلك ماثلا.

سؤال (١٥): لماذا يقتل من سب النبي ﷺ بعد توبته مع أن النبي ﷺ يقول: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث**» الحديث ؟

الجواب: الساب للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو من سب الله جل وعلا فإنه يقتل علىٰ كل حال، علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم، وأهل العلم لهم في هذه المسألة ثلاثة أقوال؛ يعني فيمن سب وتاب، فيمن سب وقال: تبت لهم لفيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنها تقبل توبته مطلقا ويخلّىٰ سبيله.

والقول الثاني: أنها لا تقبل توبته مطلقا، لا تقبل توبته ظاهرا، وإذا صار صادقا فيها فإنها تقبل فيما بينه وبين الله جل وعلا.

والقول الثالث: أن توبته يقبلها القاضي إذا احتفت بها القرائن.

والقول الصحيح هو القول الثاني وهو أنه لا تقبل ظاهرا بل يقتل علىٰ كل حال، وذلك أنه لو فُتح هذا الباب باب الزندقة وإعلان الزندقة وسب الله وسب الرسول ﷺ لسبّ من شاء، ثم إذا صار عند القاضي قال: تبت. فينهدم أصل من أصول الشريعة.

فهذا يدخل ظاهرا في المُفارق لدينه التارك للجماعة الذي جاء في حديث عبادة هذا «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدىٰ ثلاث النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه والمفارق للجماعة**».

وأعظم لترك للدين ظاهرا أن يسب الله جل وعلا وأن يسب رسوله ﷺ.

سؤال (١٦): هذا سؤال أصولي ويرجع أيضا إلىٰ فهم السنن والبدع، يقول: هل الاستدلال بالعام علىٰ بعض أفراده التي لم يجئ العمل عليها من النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم من اتباع المتشابه، وما هي القاعدة المنضبطة في دلالة العام؟

الجواب: هذا السؤال مهم، وهو متعلق بأصول الفقه، ومتعلق بمبحث البدع والسنن.

أما تعلُّقه بأصول الفقه فإن أهل العلم قرَّروا أنّ العام يُعمل به في أفرادِه، فدلالة العام علىٰ أفراده كدلالة العام علىٰ عمُومه، فيُعمل بأفراد العام وتدخُل في الأمر إذا كان مأمورًا به وتدخل في النهي إذا كان منهيا عنه، ولها أمثلة فقهية كثيرة.

وأما تعلُّقه بالسنة والبدعة فإن علماء السنة الذين ذكروا البدع وقواعدها قالوا: الدَّليل العام إذا كان يتناول أفرادا كثيرة وهجر السلف في القرون المفضلة العمل ببعض أفراده، فإنَّ هذا الهجر يدلُّ علىٰ أن الفرد غير داخل في العموم.

وذلك أنَّ العام:

- تارةً يبقىٰ علىٰ عمومه.
- وتارةً يراد به الخصوص.
- وتارة يُخص.

فالعام ثلاث مراتب:

عام باق علىٰ عمومه كما ذكرنا في النوع الأول.

وعام مراد به الخصوص وهو الذي يدخل في هذه المسألة، مثاله قول الله جل وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[الأنعام]، الصحابة رضوان الله عليهم أرادوا إعمال القاعدة، وهي دلالة هذا العام علىٰ أفراده، فقالوا: يا رسول الله أيُّنا لم يظلم نفسه؟ لأنه جل وعلا قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ و(**ظُلْم**) نكرة في سياق النفي فتكون عامَّةً في أنواع الظلم، قالوا: أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ليس الذي تذهبون إليه الظلم الشرك، ألم تسمعوا قول العبد الصالح** ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾[لقمان]» فالنبي ﷺ جعل هذا العام ليس باقيا علىٰ عمومه، وإنما مُرادٌ به الخصوص؛ يعني لفظه عامٌّ ويراد به خصوص، صورة معينة أو صور ليس كل أفراد العام، الشرك ليس صورة واحدة، فيه شرك أكبر، فيه أصغر، فيه خفي إلىٰ آخره.

فإذن العام من الأدلة من الكتاب والسنة، إذا هجر السَّلف العمل في بعض أفراده، فإنه يدل علىٰ أن هذه الأفراد غير داخلة في العموم؛ لأنه لا يكون عملٌ صالح يهجر في عهد الصحابة، ويُهجر في عهد التابعين، ويُهجر في عهد تبع التابعين ثم يحدث بعد ذلك.

فهذا الجمع بين كلام الأصوليين وكلام علماء السنة والبدعة في هذا.

وهذا له أمثلة كثيرة مثل فضيلة الصلاة علىٰ النبي ﷺ وكثرة الصَّلاة عليه يوم الجمعة، هذا جاءت فيه أدلة وتشمل الزمان -زمان يوم الجمعة وليلة الجمعة أيضًا-، فهذه من جهة عموم الزَّمان تشمل كل

اليوم، صحيح؟ وإذا كان كذلك، فيعني من جهة الدِّلالة أنه من أعلن الصّلاة عليه في أول النهار منفردا، أو جمع جماعة وصلُّوا جماعة فإنه سائغ، كذلك المؤذِّن بعد أذانه إذا أعلن الصلاة عليه يوم الجماعة فإنه يدخل في العموم، كذلك قبل دخول الخطيب إذا أعلن المؤذن الصلاة علىٰ النبي ﷺ فإنه يدخل في ذلك، وهذا الذي أخذ به جماعة ممن لم ينهجوا منهج السلف في هذه المسألة.

إذا نظرنا هل هذا العموم مراد به هذه الصورة وهذا والوقف فننظر إلىٰ عمل السلف فنرىٰ أنه في عهد أبي بكر لم توجد هذه الصورة علىٰ هذا النحو، في عهد عمر وعثمان وعلي والصحابة والتابعين وتبع التابعين.

فإذن دخول هذه الصورة في العموم ليس مرادا قطعا وإنما مراد الفعل الانفرادي الذي يكون به التعبد علىٰ نحو ما عمل السلف، بدلالة قول الله جل وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾[النساء]، وبدلالة قوله: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**».

فإذن الإحداث الذي كان فيما ما فيه عموم ننظر فيه إلىٰ عمل السلف، فإذا عمل السلف بما دل عليه العموم كان فردا من أفراده، فإنه يدلنا علىٰ أن الفرد داخل في العموم، وإذا لم يعمل به السلف بل هجروه جميعا، وإنما أُحدث بعد ذلك فيكون إذن هذا العام من العام الذي أريد به الخصوص، وليس من العام الباقي علىٰ عُمومه.

والمسألة فيها زيادة تفصيل وصور في البدع الإضافية والذَّاتية أو الأصلية وبعض المسائل المتصلة في ذلك عمل بها بعض السلف، فيها تفصيلات يمكن أن ترجع بها إلىٰ كتب المحققين من أهل العلم.

سؤال (١٧): يُنسب إلىٰ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يتحرّج أن يصلي علىٰ بعض الموتىٰ، وأنه رأىٰ الرسول ﷺ وقال له: استثني، هل عمل بهذه الرؤية؟

الجواب: هذه قصة مشهورة؛ لكن هذا وإن كان وقع من شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنه ليس عليه حجة، ومما قرره السلف في كتب الاعتقاد أننا نرىٰ الصلاة علىٰ من مات من أهل القبلة برا كان أو فاجرا، فالذي يؤتىٰ به للصلاة عليه إن كنت لا تعلم حاله فتصلِّي عليه؛ لأنه في دار إسلام وتدعو له باعتبار أنك امتثلت الأصل، أنت لم تشفع في مشرك؛ لأنك لا تعلم الحال ولكن امتثلت الأصل وهو قول النبي ﷺ: «**إذا صليتم للميت فأخلصوا له في الدعاء**».

والنبي ﷺ كان أول الأمر صلىٰ علىٰ بعض المنافقين، ثم نزل قول الله جل وعلا: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓ ﴾[التوبة:٨٤]، كان ينصرف ومعه بعض الصحابة ثم يصلي علىٰ المنافق البقية باعتبار ظاهر الإسلام.

والغالّ -الذي غلّ- لم يصل عليه النبي ﷺ وصلىٰ عليه البقية.

والذي قتل نفسه ما صلىٰ عليه النبي ﷺ وصلىٰ عليه البقية؛ يعني انصرف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومن معه وصلىٰ عليه الباقون.

وهكذا من لهم بدع أو لهم كبائر أعلنوا بها ودعوا إليها، ونحو ذلك فإنه من علم حالهم ينصرف ولا يصلي.

لهذا كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في عهده إذا أُوتي إليه بميت لا يصلي عليه حتىٰ يسأل حذيفة من اليمان فإن قال له: صل عليه صلىٰ عليه وإلا انصرف مع حذيفة وصلىٰ عليه الباقون.

فإذن الذي قرره أهل السنة والجماعة في عقائدهم أن المنتسب للقبلة يصلَّىٰ عليه برا كان أو فاجرا، ما لم يحكم عليه بكفر أو بردة بحكم شرعي، فإنه لا يصلي عليه المسلمون.

من علم حاله ينصرف، من لم يعلم حاله فإنه يصلي عليه.

وبدلالة حديث عمر وفعل النبي ﷺ لا يلزم من علم حاله أن يُعلنه في الناس لا تصلوا علىٰ فلان؛ لأن الاعتبار هنا بالظاهر كما صلىٰ بعض الصحابة علىٰ بعض المنافقين، وكما حصل في عهد عمر.

والمسألة مبسوطة في كتب العقيدة في أكثر من مكان، فإن من عقيدتنا أننا نرىٰ الصلاة علىٰ من مات من أهل القبلة برا كان أو فاجرا، نصلي خلفهم ونصلي عليهم باعتبار الظاهر، ولها أحكام وتفصيلات موطنها في الكتب المطولة.

إذن فالكلام الذي نُقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية هو له؛ لكن يعني الأصول الشرعية علىٰ خلافها.

نختم بهذا، ونسأل الله جل وعلا للجميع المغفرة والرضوان والقبول.

اللَّهمَّ ألهمنا رشدنا واغفر لنا ولوالدينا ولولاة أمورنا ولمن له حق علينا.

اللَّهمَّ صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك محمد.